تاريخ الاستلام: 2017/03/08 -تاريخ التحكيم: 2017/05/02 -تاريخ النشر2017/06/30

بعثة الحجاز : الطريق الى فرض الانتداب الفرنسي على سوريا و لبنان 1915– 1920

أ.الطاهر سبقاق

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي – (الجزائر)

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

الملخص:

اتفقت فرنسا وبريطانيا في السر والعلانية على اقتسام الممتلكات الشرقية للامبراطورية العثمانية، فبدأت مساعيهما بتشجيع عرب الحجاز على الثورة ضد العثمانيين مستغلين حماسة الحجازيين ومعتمدين على مجنّدي المستعمرات ، فكان الهنود و الاستراليون وعرب الحجاز اداة فعّالة في يد البريطانيين كما كان المجندون الجزائريون و المغاربة و التونسيون اداة اخرى في يد الفرنسيون ، وبمجرد ما تم ابعاد الجيش العثماني وفي وقت كان في عرب الحجاز و الشام ينتظرون قطف ثمار الثورة كشفت الدول الغربية عن نواياها و انيابها فكان الصدق والالتزام بالوعد مع بعضهما و الغدر و الخيانة تجاه العرب الذين تخلّصوا من السلطة العثمانية ووقعوا تحت هيمنة الاستعمار الاوروبي.

الكلمات المفتاحية: الحسين بن علي– الثورة العربية– الحجاز–الشام– بريمون–الامير سعيد– الجنرال غورو

Résumé:

La France et la Grande-Bretagne se sont bien convenus à partager les terres orientales de l'empire Ottoman, ils ont commencé par encourager les Arabes du Hedjaz à se révolter contre les Ottomans en exploitant d'un côté l'enthousiasme Arabe et de l'autre les recrues ramassés des colonies Britannique , en l'occurrence, l' Australie et l'Inde et de l'Algérie ,le Maroc, et la Tunisie pour le colonies francaises; Ceux là ils se sont bien battus pour la France et la Grande-Bretagne, et une fois les Ottomans chassés du Machreq, et à la grande surprise des Arabes , Français et Britannique ont affiché leur vrai visage, il ont été fidèles à eux même et sionistes, mais ils ont bel et bien tourné le dos aux promesses faites à leur alliés arabes, et voilà finit le régne ottoman et débute la mainmise coloniale.

Mots Clés: Hedjaz-Levant-Révolution Arabe –Emir Faysal-Syrie

مقدمة :

شهدت منطقة الشرق الاوسط ولا زالت تشهد صراعات و نزاعات متجددة تجعل منها مركز ومحور اهتمام وتنافس بين الدول الكبرى بشكل يجعل هدوئها واستقرارها ضمانا للسلم العالمي ، واي انزلاق و انفلات فيها يكون مؤشرا يرهن الامن و السلم العالميين لذلك تنطبق عليه بحق نظريات راتزل و ماكندر وسبايكمان من حيث ان منطقة الشرق الاوسط هي بحق قلب العالم ، ومن يتحكّم فيها يمكنه ان يتحكّم في العالم اجمع.

لذلك كانت فرنسا و بريطانيا سبّاقتين لاقتناص فرصة ضعف وتهلهل الامبراطورية العثمانية في اواخر القرن التاسع عشر لضمان موطأ قدم لهما في قلب الشرق الاوسط وخاصة بلاد الشام من خلال استغلال عدواة عرب المشرق وخاصة الحجاز و الشام للدولة العثمانية و سياسة التتريك ، وايضا لارتباط سياق الاحداث هناك باندلاع الحرب العالمية الاولى التى كانت الامبراطورية العثمانية طرفا فيها الى جانب المانيا ضد فرنسا و بريطانيا .

بناء عليه اشكالية الدراسة هي كالتالي: كيف تم استدراج العرب و الانتقال بهم من محطة الى اخرى حتى الوصول الى الهدف وهو سيطرة فرنسا و بريطانيا على بلاد الشام ؟ و فيما تمثلت الوسائل و الاساليب السياسية و العسكرية التي استخدمتها كل من فرنسا و بريطانيا للظفر بمناطق نفوذهما هناك؟

اعتمدت في دراستي على المنهج التاريخي الوصفي في عرض الاحداث ثم انتقلت الى التفكيك والتركيب لفهم الاحداث وتحديد تداعياتها والتي لا تزال بعض افرازاتها ماثلة الى اليوم امام عيون العرب الذين لم يفقهوا تاريخهم لذلك تراهم يلدغون من نفس الجحر عشرات المرات.

تقاسم الفرنسيون و البريطانيون بلاد الشام على اثر ترتيبات ومساومات وحسابات عبر محطات عديدة السرية منها اكثر من العلانية كان في مقدمتها مراسلات حسين- مكماهون 1915 والتي كان عددها 10 رسائل خمسة من شريف مكة الحسين بن علي[1] وخمس ردود من المندوب السامي البريطاني في مصر السير هنري مكماهون[2]أبدى فيها الحسين بن علي استعداده لدعم الوفاق الثلاثي المعادي للدولة العثمانية والمشاركة في ابعادها من المشرق العربي مقابل مساعدة بريطانيا للعرب والعطف على امانيهم في تشكيل الدولة العربية الكبرى التي تمتد من العراق شمالا الى اليمن جنوبا باستثناء عدن، الرسالة الاولى كانت من الحسين بن علي صدرت يوم 14 جويلية 1915 ،اما الرسالة العاشرة فكانت ردا من السير هنري مكماهون بتاريخ 11مارس 1916 [(3)] (الحكيم،يوسف.(1974). الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي و الانتدابي الفرنسي 1915-1946.بيروت:دار صادر) بعد 51 يوما من الرسالة العاشرة كانت اتفاقية او صفقة سايكس- بيكو1916 والحرب جارية بين الوفاق والحلف الثلاثي حيث التقى ممثل بريطانيا مارك سايكس[(4)] مع مندوب فرنسا جورج بيكو[(5)] تحت اجنحة الظلام واضعين على الطاولة خارطة الممتلكات المشرقية للرجل المريض لتقاسم تركته قبل وفاته أخذين بعين الاعتبار نصيب كل من ايطاليا و روسيا القيصرية.حسب الخارطة المذكورة نالت فرنسا سوريا ولبنان في حين نالت بريطانيا شرقي الاردن و

---

[1] الحسين بن علي (1854-1931 م): ولد باسطنبول، ثم جاء إلى مكة، وعندما كبر وتولى عمه عون الرفيق إمارة مكة لم يحتمل تدخله في شؤون الإمارة فطلب إبعاده من الحجاز فاستدعاه السلطان عبدالحميد الثاني في عام1891م إلى اسطنبول وعين عضواً في مجلس المبعوثان(الشورى) في الدولة، ثم أميراً لمكة سنة 1908 م. قاد الثورة العربية في الحجاز **عام1916 م، وأعلن نفسه ملكاً على الحجاز، أمرت الحكومة البريطانية بنفي الشريف حسين إلى قبرص 1925 م، ولما اشتد عليه المرض أذن البريطانيون بسفره إلى الأردن التي ظل بها ستة أشهر، ثم توفي وحمل إلى القدس ودفن هناك. انظر: خيرالدين الزركلي: الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب** والمستعربين والمستشرقين،ج 2، دار العلم للملايين، بيروت، ط 12 ،1997 ، ص 249- 250.

[2] (1862-1949) سياسي بريطاني بارز تولى عن الجانب البريطاني المحادثات مع شريف الحجاز Henry McMahon السير هنري مكماهون الحسين بن علي عام 1915.

[(4)] (1879-1919) مغامر وعسكري ومستشار دبلوماسي بريطاني متخصص في شؤون الشرق الاوسط، ارتبط اسمه Mark Sykes (مارك سايكس بالاتفاقية الفرانكو-بريطانية المعقودة سنة 1916 لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية.

[(5)] (1870-1951) سياسي و دبلوماسي فرنسي ،قنصل فرنسا في بيروت قبيل الحرب العالمية الاولى ثم Francois George-Picot جورج بيكو مندوب سامي فرنسي في فلسطين و سوريا بين 1917-1919 ، ارتبط اسمه هو الاخر بالاتفاقية الانجلو- فرنسية المعقودة سنة 1916 لاقتسام ممتلكات الامبراطورية العثمانية.

فلسطين،كانت هذه الاتفاقية ستبقى طي الكتمان لولا نجاح البلاشفة في ثورتهم ضد النظام القيصري في روسيا فكشفوا محتوى الاتفاقية نكاية في الدول الغربية الرأسمالية.

توالت الدسائس الغربية ضد المصالح القومية العربية ليتم اصدار وعد بلفوري الثاني من نوفمبر 1917 [6](عبدالعزيز،عمر.(1980).دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر،مصر 1517-1952 /القضية الفلسطينية.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة و النشر.)، والذي تبيح فيه الملكة البريطانية فكتوريا لنفسها حق التصرّف فيما ما لا تملك وتعلن عطفها و تأييدها للاماني اليهودية و المشروع الصهيوني في اقامة الوطن القومي على ارض فلسطين وهو المشروع الذي لقى دعما وتأييدا كبيرين من الدوائر الرسمية البريطانية والدليل على ذلك النشاط الحثيث والتنسيق المكثّف بين كبارالساسة البريطانيين وكبار نشطاء الحركة الصهيونية امثال لويد جورج

واللورد ملنر وارثر بلفور وحاييم وايزمان خليفة هرتزل واللورد روتشيلد وهربرت صموئيل وموسى دي منتفيوري وغيرهم.وقد لعب الثلاثي البريطاني- الفرنسي- الصهيوني كل اوراقه لخدمة الحركة الصهيونية وتمكينها من فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى.

بعثة الحجاز او بعثة بريمون[7]:

خلال هذه المسرحية الثلاثية الاطراف كانت بعثة الحجاز الفرنسية محطة هامة يستحق الخوض فيها شيء من التفصيل لثلاثة اسباب ، اولهما نظرا لما سيكون لحضورها وتبعات نشاطها من ارتباط بالتمهيد لإخضاع سوريا ولبنان للهيمنة الفرنسية، وثانيهما هو وجود جزائريين ضمن طرفي النزاع :الجيش العربي و الجيش الفرنسي، اما السبب الثالث وهو انه خلال هذه البعثة يثمر تأثير السير ادوارد توماس لورانس — لورانس العرب- ضابط الارتباط البريطاني على الامير فيصل واقناعه بالاطروحة البريطانية الرامية الى توطين اليهود في فلسطين.

ان بعثة الحجاز او بعثة بريمون هي بعثة سياسية عسكرية فرنسية الى الحجاز خلال الحرب العالمية الاولى ، جناحها الاول سياسي يقوده الجزائري سي قدور بن غبريط[(8)] برفقة وفد يتكون من:

- الاغا صحرواي وسي مصطفى شرشالي ممثلا عن الجزائر
- الشاذلي العقبي و الحاج العربي بن الشيخ عن تونس
- احمد بن الحاج سكيرج وكسوس محمد بن يوسف عن المغرب

---

[7] (1868-1948)جنرال فرنسي عمل بالمغرب و الحجاز وكان من قبل حكومته باسناد الحسين بن علي في Edouard Brémond ادوارد بريمون ثورته ضد العثمانية، حملت العثة الفرنسية الى الحجاز اسمه فعرفت بـ "بعثة الحجاز او بعثة بريمون".

[(8)] عبدالقادر أو قدور او سي قدور بن غبريط ولد يوم 1868/11/01 (او1873) في سيدي بلعباس غرب الجزائر من عائلة قدمت من مدينة تلمسان على حدود المغرب ،درس اللغة العربية و الفقه الاسلامي في الجزائر ثم انتقل مع عائلته في اواخر القرن 19 الى طنجة بالمغرب الاقصى ليشتغل مستشارا ومترجمل لدى المفوضية الفرنسية ثم سفيرا لها في فاس ثم وزير مفوض فوق العادة ثم عميد مسجد باريس ومدير المعهد الاسلامي فيها ايضا، وفي نفس الوقت بقي رئيس ديوان تشريفات المخزن العلوى ومستشارا لكل سلاطين الاسرة العلوية حتى وفاته يوم 1954/06/24.

- سي عبدو كان او(خان)عن افريقيا الغربية

- سي علي مالك سكرتير البعثة (Le Pautremat, Pascal(2006): 17-31)

سي قدور بن غبريط هو القائد السياسي للبعثة،وهو شخصية محورية فرضت على الاخرين الاعجاب والهيبة والريبة في نفس الوقت،وقد قال عنه حاكم طنجة بول ريفوال انه" نصف المسألة المغربية" كما وصفه الدبلوماسي الفرنسي الكونت سان اولير بأنه" الورقة الرابحة التي ستجعل فرنسا تربح الرهان على الرغم من قلة خبرة اللاعب" (سلام.صادق. (2012).فرنسا ومسلموها ،قرن من السياسة الاسلامية1895-2005 .(ترجمة زهيدة درويش، جبور).الامارات: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث). وقد كان الماريشال ليوتي ايضايتعامل معه بكثير من الحذر والتحفّظ لكثرة و تنوع علاقاته واتصالاته المباشرة بالشخصيات الفرنسية السامية في باريس وشخصيات اخرى فرنسية وعربية و اجنبية في الخارج.

هذه البعثة لم تذهب في زيارة مجاملة او بغرض السياحة او لاداء فريضة الحج انما لتحقيق اهداف قليلها معلن و كثيرهاخفي ، وهي اهداف تخص المصالح العليا للدولتين البريطانية والفرنسية ، يأتي في مقدمة الاهداف المعلنة التنسيق و التعاون الفرنسي- البريطاني في سياق الحرب العالمية الاولى بالجبهة المشرقية في اطار الوفاق الثلاثي ضد الحلف الثلاثي هذا الاخير الذي تعتبر الدولة العثمانية احد اطرافه ،وبما أن موقف شريف مكة الحسين بن علي معادي للعثمانيين و يدعو الى محاربتهم اذن فان دعمه ومساندته من الوفاق تصبح تكتيكيا امرا واجبا استنادا الى قاعدة "عدو العدو صديق"، علاوة على ذلك فان المعني بالامر- اي الحسين بن علي – هو الذي طلب النجدة والمساعدة وعليه فكلاهما- بريطانيا وفرنسا - فاعلا خير يستحقان الاشادة و التنويه!!!!

تزامن انطلاق البعثة الفرنسية الى الحجاز مع حدث دولى بارز الا وهو اندلاع الحرب العالمية الاولى وفي سياق مواز كانت فرنسا تمر بوضعا حرجا مرشّحا لأن يأخذ ابعادا دولية في المغرب الا و هو استمرار المقاومة الوطنية المغربية ضدها بعد فرض الحماية عليه عام 1912 ، حيث لم تثبّت فرنسا نفوذها بعد في المناطق الخاضعة لها ، كما تعاني اسبانيا من وضع مشابه في منطقة الريف في الشمال المغربي الواقع تحت نفوذها ايضا.

إن فكرة البعثة الفرنسية الى الحجاز وتركيبة الوفد المبعوث وخطة عملها كانت بالتنسيق والتخطيط بين وزير الخارجية الفرنسي اريستيد بريان ووزير الحربية المقيم العام الفرنسي السابق في المغرب الماريشال هيبيرت ليوتي، لم تدّخر فرنسا جهدا لتجسيد ذلك حتى بلغ الامر بهذا المقيم العام الفرنسي السابق العارف بشؤون المغرب حد الضغط لاستصدار فتوى من بعض مشايخ المغرب لتعداد مزايا السلالة الشريفية العلوية الهاشمية ، وفي نفس الوقت التأكيد بشكل قاطع على شرعية سلطة الشريف الحسين طالما انه يقف في وجه العثمانيين ليؤكد جازما بصحة موقفه المعادي لهم والذي حسبه يستوجب المباركة و الدعم و التأييد المطلق من المسلمين قاطبة و الأشراف منهم من باب اولى .

مما هو جلي ومعلن بشأن هذه البعثة ان قضية الحج كانت ضمن اهتماماتها الاساسية حيث كان على دول الوفاق الثلاثي وخاصة بريطانيا و بالاخص فرنسا ان تظهر للاخرين ان لديها من القوة العسكرية ما يمكنها من تأمين طريق الحج الى الاراضي المقدّسة وانها ايضا تحترم الدين الاسلامي و تشجّع المسلمون على اداء شعائرهم كما كانت تنظر الى ان تشجيع الحج وزيادة عدد الحجاج من شأنه تعويم صناديق الشريف حسين الذي هو في امسّ الحاجة للموارد (سلام.ص.(2012):198).وبكل تأكيد هم سينالون منها نصيبا.

طبقا للتعليمات الفرنسية الرسمية مع رخصة الاجتهاد في الاسلوب فقط شرع سي قدور بن غبريط ، منذ 1916 ، اذ قام بشراء اثنين من المباني في الحجاز بغرض استخدامهما لايواء الحجاج اثناء مواسم الحج، احدهما في مكة و الاخر في المدينة، فأمضى عقدا بـ125 ألف فرنك مع صاحب المباني والذي هو وزير خارجية الشريف حسين المدعو سي احمد افندي بن ناجة ودفع له مقدّم 2000 فرنك من الاجمالي (Le Pautremat, Pascal (2006): 17-31)،على ان تتبع المباني شركة احباس او اوقاف الاراضي المقدسة التى تأسست لاحقا 1917/2/09 وحدد مقرها بالجامع الاكبر في الجزائر العاصمة. (Le Pautremat, Pascal (2006): 17-31)

ومن بين ما هو مصرّح به ايضا هو أن مساندة الوفاق الثلاثي لشريف مكة عطفا و تعاطفا مع الاماني العربية في التخلص من نير الهيمنة العثمانية ومساعدتهم على بناء الدولة العربية الكبرى ، وبالنسبة لبريطانيا فهي تصرّفت وفقا لما ورد في المراسلات العشر التي تبودلت بين الشريف حسين والسير مكماهون، أما فرنسا فمساندتها لعرب الحجاز هي هي ايضا بدافع العطف عليهم وبنية تخليصهم من التسلّط العثماني ، وبطبيعة الحال دعم بريطانيا في هذا الاتجاه مردّه ايضا الالتزام بما ورد بين فرنسا و بريطانيا فيما عرف بالاتفاقيات الودية التي عقدت بينهما في بداية القرن العشرين.اما الاهداف الخفية فهي اكبر و اخطر وهي ذات ابعاد سياسية، جيو-استراتيجية ،عسكرية ،اقتصادية بالنسبة للدولتين، فكلا الدولتان تسعيان لبسط نفوذهما في المنطقة وكلاهما تعمل على مزاحمة الأخرى وتبيان وزنها و قوتها وقدرتها على التأثير ،وعلى الرغم من حداثة علاقات بريطانيا بالمشرق مقارنة بفرنسا الا ان المصالح البريطانية اوسع و اكبر فهي مرتبطة بمعاهدات وعقود مع عائلات ومشايخ الخليج حيث هناك عينها على مضيق هرمز القريب من جوهرتها :الهند ومناطق نفوذها في ايران و افغانستان، كما لها اهتمامات بمضيق باب المندب ومنطقة الجنوب العربي، وعلى رأس كل الاهتمامات البريطانية مصر وقناة السويس لتأمين الطريق الى جوهرة التاج البريطاني: الهند ، وبنفس القدر كان البريطانيون جادّون وماضون في اهتمامهم بالمشرق العربي – وخاصة في فلسطين – من اجل انجاح المشروع الصهيوني وحجز فلسطين لليهود لتوطينهم فيها لاحقا تنفيذا لوعد بلفور المذكور اعلاه، والذي بدون شك سيكون تنفيذه صكا على بياض للاستفادة من الرأسمال اليهودي العالمي في اوروبا و امريكا تمنحه المنظمة الصيهونية العالمية لانعاش الاقتصاد البريطاني والاستجابة لما فرضته الثورة الصناعية من استثمارات ضخمة ،وما

سيفرضه المد التوسعي للتكفّل بما يلزم من حاجيات الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.
اما فرنسا فهي الاخرى كانت تسعى لمزاحمة بريطانيا واستعادة دورها هناك باستثمار تاريخها الديني والثقافي في المنطقة ودعم مركزها هناك وضمان الحصول على جزء من تركة الامبراطورية العثمانية الايلة للسقوط.
على المستوى العسكري كلا الدولتان تريان بأن التموقع في المشرق من شأنه تمكين الدولتين من دعم مكانتهما العسكرية والحيازة على قواعد عسكرية هناك تتيح لهما امكانية التدخل العاجل عند الضرورة للدفاع عن مصالحهما ومصالح حلفائهما ، والوقوف بالمرصاد للخطر الالماني المتربص بالمنطقة في التقارب المتزايد بين الامبراطورية الالمانية القوية و الامبراطورية العثمانية خاصة على الصعيدين العسكري والاقتصادي.
بالنسية للاهداف الخفية الكبيرة و الخطيرة فهي في المجال الاقتصادي فقد كانت الدولتان تعلمان حجم الفوائد التي يمكن جنيها من بلاد الشام المعروفة منذ القدم بخيراتها الزراعية و المائية والحيوانية والحرفية علاوة على دورها الريادي في الحركة التجارية كهمزة وصل بين الشرق الاقصى واوروبا خاصة في تجارة التوابل و الحرير وغيرهما.وخير دليل لتفسير جاذبية هذا الاهتمام الاوروبي هو الحركة النشيطة التي تمتاز بها الموانئ الشامية من الشمال الى الجنوب : اسكندرون،انطاكية ، اللاذقية،طرطوس، طرابلس، بيروت،صيدا،صور،عكا، حيفا،يافا،غزة. وليس غريبا على احد شهرة مدن الشام في عالم التجارة مثل القدس وبيروت ودمشق وحمص وحماه وحلب، هذه الاخيرة كان فيها في مطلع القرن السابع عشر "53 معملاً للأقمشة المقصبة، و247 معملاً لمنسوجات الغزل، و159 معملاً للحرير" (محمد،قجة.(2012).صور من العلاقات المتبادلة بين أوربا وشمال بلاد الشام.مجلة الباحثون الالكترونية،العدد 55 (.

يضاف الى ما سبق حساب ما يمكن ان تستغلّه الدولتان الاستعماريتان من ايدي عاملة رخيصة ،واتاحة امكانية تجميع ضرائب ضخمة تساهم في تمويل المشاريع الاستعمارية بشكل عام ، دون ان ننسى ايضا ما وجده الاوروبيون من اسواق استهلاكية واسعة لعرض وترويج سلعهم فيها.
ولا يمكن بأي حال من الاحوال استبعاد الاهمية الحضارية و الثقافية و الروحية لبلاد الشام التي كانت ملتقى للعديد من الحضارات العريقة ومجال احتكاك وتمازج العديد من الثقافات هذا علاوة على كونها اكتست ولازالت تكتسي اهمية وقداسة كبيرة بالنسبة لمعتنقي الديانات السماوية الثلاث.
فيما يتعلّق بالجناح العسكري للبعثة فكان يقوده المقدّم ادوارد بريمون الذي هو في نفس الوقت المنسق بين جناحي البعثة، يملك الرجل خبرة مميّزة في التعامل مع العرب ،فهو يعرف لغتهم و تاريخهم وعاداتهم ، اشتغل قرابة العشرين سنة متنقلا بين الجزائر و المغرب، قائدا لفيالق الرماة و قائدا لشرطة الموانئ المغربية ونائبا لرئيس البعثة الفرنسية هناك، ورئيسا لشعبة مخابرات....وقد كان حذرا ومتحفظا في التعامل مع البريطانيين ، متحمسا لتحقيق الاهداف الفرنسية وشرسا في الدفاع عن مصالح بلده. ولكونه عارفا وملمّا بالمنطقة و ذهنيات اهلها فقد تم استدعائه عديد المرّات من

طرف اللجنة الوزارية المشتركة الخاصة بشؤون المسلمين" سيام"[9] مابين 1917-1937 بغرض البحث و التقصّي، وهي اللجنة التي اكدت بعد استشارتها من طرف الحكومة الفرنسية على ان ضباط البعثة يجب ان يكونوا عرب ومسلمين،وبناء على توصيات هذه اللجنة رافق العقيد ادوارد بريمون 2351 رجل منهم 64 ضابط و 2467 جندي من الرماة الجزائريين (الفيلق 7 و9 من الفوج الاول للرماة الجزائريين من مدينة الجزائر وضواحيها). (Le Pautremat, Pascal(2006): 17-31)

وعلى رأس هذه التشكيلة التى قادها العقيد بريمون مجموعة من العسكريين المسلمين و الاوربيين البارزين منهم :

– المقدم الشريف قاضي الذي رافق الامير فيصل بن الحسين طوال الثورة العربية.

– النقيب رقيد سعد من فوج الصبايحية الثاني .

– النقيب رحّو محمد ولد علي من تيارت من نفس الفوج، ضابط صبايحي جزائري الاصل رافق الامير عبدالله بن الحسين طوال الثورة العربية حتى سقوطه سنة 1919 في معركة ضد ال سعود.

هذا بالاضافة الى ضباط اخرين جزائريين مثل الملازمين زموري وبن جنات و المساعد علي بن نوار طرابلسي والرقيبين عزوق و عنصر العيمش بن محمد و المدفعي الاساسي بن حامد والمدفعي خميس بن خليفة بن سالم (JORDAN,F(2016) avril 29, 2016)

http://lechoduchampdebataille.blogspot.com/2016/04/mission-militaire-francaise-au-hedjaz.html)

– النقيب كوس من الفوج 314 للمشاة.

وأطّرت البعثة مجموعة ضباط وضباط صف اوربيين اخرين يتقنون العربية ولهم خبرة بالشؤون العربية و الاسلامية مثل العقيد بياباب و النقيبين بيزاني و دوبوي والملازم ريفوار والمساعد شاتولان والرقيبين ماط و ماتيو وغيرهم. (Gout, J(1916)bulletin de renseignement.. 7 N 2081,Paris,Shat.)

بالاضافة الى بعض المترجمين مثل الضابط المترجم بيرشي والمترجم المساعد كوني و السكرتير ستراتيبيرغ (Gout, J(1916)bulletin de renseignement. 7 N 2081,Paris,Shat)

بالمحصّلة نجحت البعثة الفرنسية رغم قلة تعداد الجيش الفرنسي بالمقارنة مع نظيره البريطاني وتوّج اسنادهم للثورة العربية بمعية البريطانيين وجنود المستعمرات البريطانية من هنود و استراليين بهزيمة الجيش العثماني الرابع وطرده من بلاد الشام.

بداية العهد الفيصلي:

---

[9] Commission Interministérielle des Affaires Musulmanes وتعني اللجنة المشتركة مابين الوزارات الخاصة بشؤون المسلمين CIAM سيام اختزالا لـ ، وهي هيئة مدنية حكومية رسمية تأسست سنة 1911 لدراسة و متابعة شؤون المسلمين في فرنسا و شمال افريقيا واينما وجد المسلمون داخل المستعمرات الفرنسية كما تتولى التفكير و التشاور في كل ما يتعلق بسياسة فرنسا تجاه العالم الاسلامي ، تشترك فيها وزارة الشوؤن الخارجية و الداخلية والمستعمرات و الحربية.

في 30 سبتمبر 1918 رفعت الراية الهاشمية فوق المباني العمومية في دمشق وتشكّلت حكومة مؤقتة من طرف الامير محمد سعيد الجزائري[10] تحت رعاية حرسه العسكري الخاص من الجزائريين المقيمين هناك، ولم يدم ذلك اكثر من يومين ، وفي جو مليء بالفوضى و الاضطرابات والدسائس تستلم الحكومة الشريفية برئاسة الامير فيصل – تحت العناية و الرعاية و الحماية البريطانية – زمام الامور يوم 2 اكتوبر 1918، وهو تاريخ النهاية الرسمية لحكم العثمانيين في بلاد الشام – و الذي بدأ سنة 1516 – ليبدأ بعد ذاك التاريخ الحكم الفيصلي ، وكان فيصل ومعه جمهورا عريضا من العرب المعادين العثمانيين يأملون في ان تكون بريطانيا صادقة ووفية لما وعدت به شريف مكة الحسين بن علي، في وقت كانت فيه بريطانيا مشغولة بضمان موقعها وتثبيت نفسها هناك والشروع في تنفيذ اتفاقية سايكس–بيكو ،وبالمقابل كانت فرنسا هي الاخرى تتحسس مكانتها وتسعى باحتشام للتموقع في المنطقة ،في الجهة العربية بدأ حراكا سياسيا شعبيا للدفاع عن استقلال الشام والتعبير عن الرفض القاطع للهيمنة الاجنبية ولما جاء في اتفاقية سايكس–بيكو ووعد بلفور وهي المطالب الوطنية التى عبّر عنها المؤتمر السوري العام الذي انعقد بدمشق يوم 9 جوان 1919 بحضور 120 شخصية وطنية تمثل مختلف الطوائف و الاطياف السياسية السورية[11] (جهان، بنت إبراهيم شار علي عبد الرحيم.(2011). الاثار السياسية و الحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام 1924–1939 . اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى. المملكة السعودية).

وعلى الرغم من جرأة وعلوّ سقف المطالب العربية في هذا المؤتمر الا ان المعطيات المحلية و الاقليمية و السياقات الدولية – قبيل ذلك –و التى كانت تنسج خيوطها في العواصم الاوربية وخاصة باريس التي احتضنت مؤتمر الصلح ،لم تكن تبشّر بالخير الذي يأمله العرب، فكان ممثل الوفد المشرقي(الحجازي–الشامي) الامير فيصل غير قادر لا استرتيجيا ولا تكتيكيا على فرض نفسه واسماع كلمته سوى على طاولة الحاضرين او في كواليس المؤتمر، بل كان احيانا محل تقاذف بين البريطانيين والفرنسيين، كما كان محل اهتمام و اتصالات مريبة من طرف الصهاينة الذين يتهيأ زعيمهم حاييم وايزمان للمشاركة في المؤتمر بل انه تمكن قبيل المؤتمر من انتزاع تصريحات خطيرة غير محسوبة العواقب من الامير فيصل بشأن جزء عزيز من بلاد الشام و هو فلسطين ادلى بها لوكالة رويتر يوم 1918/12/12 جاء فيها:

" اني آمل أن تحقق كل من الامتين (العربية و اليهودية) تقدّما ملموسا نحو امانيهما و امالهما.ان العرب لا يحملون ضغينة ضد الصهيونيين اليهود،بل ينوون ان يسمحوا لهم بالعمل.اما التحاسد بين سكّان المستعمرات اليهودية و

---

[10] الامير محمد سعيد الجزائري الأمير محمد سعيد بن علي بن عبدالقادر الجزائري: حفيد الأمير عبدالقادر الجزائري، ولد في دمشق عام 1300ه/1883 م، وتلقى تعليمه فيها، ثم انتقل إلى اسطنبول ودرس في المدرسة العليا، تولى رئاسة الدولة في سورية بعد خروج القوات العثمانية عام 1337 ه/ 1918 م، رشح لعرش سوريا عام 1338 ه / 1920 م بعد سقوط الملك فيصل بن الحسين، لكن فرنسا عارضت هذا المشروع وقامت بمحاربته، ترأس العديد من الجان والجمعيات بسوريا ، ويمكن اعتباره أول رئيس للحكومة العربية بدمشق. انظر: سليمان المدني(1999) .هؤلاء حكموا سورية 1918-1970.ط4،دمشق:دار الأنوار،ص 12-15

المزارعين المحليين(اي العرب)فقد اثارته الفتن التركية.ولكن التفاهم المتبادل لأهداف العرب و اليهود ،سيقضي على اخر اثار هذا العداء ،الذي بالفعل،زال قبل قبل الحرب بفضل عمل اللجنة الثورية العربية السرية، ان الصهيونيين هم حملة حضارة اوروبا الى الشرق" (عمر، عبدالعزيز عمر: 641) و انتهت الاتصالات باتفاق فيصل–وايزمان وقّعاه يوم 3 جانفي 1919 و هو اتفاق يتكون من مقدمة و عشر مواد مكتوب باللغة الانجليزية،وهو اتفاق يرسم حدود التعاون بين العرب و اليهود.وبعد شهرين تماما– اي 3 مارس 1919 – و تحت ضغط الصهاينة الامريكيين في اروقة مؤتمر الصلح يوجّه فيصل رسالة تأييد قوية للصهيونية جاء في بعض مقاطعها:".....واننا معشر العرب ، والمثقفين منا بوجه خاص نشعر نحو الحركة الصهيونية بأعمق مشاعر العطف.وان وفدناهنا في باريس يعلم تماما المقترحات التي قدّمتها المنظمة الصهيونية الى مؤتمر الصلح ، واننا ننظر اليها على انها مقترحات معتدلة صحيحة. و سوف نبذل جهدنا ،في النطاق الذي يخصنا ،للمساعدة على تحقيقها، اننا نرحب باليهود اعظم ترحيب....ان حركتينا تكملان احدهما الاخرى.فالحركة اليهودية قومية وليست استعمارية.....انني و شعبي نتطلع الى مستقبل نساعدكم فيه وتساعدوننا فيه، حتى يتمكن بلدانامن اخذ مكانيهما في مجتمع الشعوب المتمدينة في العالم." (عمر، عبدالعزيز عمر:648–650) وبعد يومين نشرت صحيفة نيويورك تايمز هذه الرسالة تحت عنوان كبير " امير الحجاز يرحب بالصهيونيين" ، واسفر ذلك على موجه من السخط و الاستياء لدى الرأي العام العربي متهمين فيصل بالخيانة لكن فيصل ردّ بأنه وقّع على الرسالة دون معرفة محتوياتها ,ربّ عذر اقبح من ذنب! كما انه ذكر بأن مستشاره و صديقه الحميم لورانس هو من كتبها دون ان يخبر فيصل بمحتواها. (عمر، عبدالعزيز عمر:648)

تسارعت الاحداث بعد ذلك وانعقد مؤتمر سان ريمو في شمال شرق ايطاليا بين 19 و 26 افريل عام 1920 للنظر في مصير الولايات العربية العثمانية بعد الحرب العالمية الاولى و التحضير ايضا لمحتوى اتفاقية سيفر مع الدولة العثمانية، ومن ابرز ما افرازات اللقاء هو وضع سوريا و لبنان تحت الانتداب الفرنسي ووضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وهذا النظام الانتدابي الجديد تحت المظلة الشرعية لعصبة الامم الهيئة الدولية الناشئة حديثا استنادا الى مبادئ ولسون الاربعة عشر،فكانت مباركة العصبة لهذه القرارات بالنسبة للمستفيدين ترخيص قانوني لفرض سلطتهم على الضحايا او بمعنى اخر وضع اتفاقية سايكس–بيكو حيّز التنفيذ.

من الجهة الاخرى كانت هذه القرارات محل استياء و تذمّر كبير في اوساط العرب الذين عبّروا مرة اخرى عن رفضهم من خلال الاجتماع الثاني للمؤتمر السوري العام في دمشق ،ولم يستطع الامير فيصل ضبط الامور بسبب مجاراته للوطنيين تارة و رغبته في التفاهم مع الفرنسيين تارة اخرى ،ولما زاد عليه الضغط اعلن عن رفضه لقررات الانتداب التي لم تحترم وحدة سوريا . هنا لم تجد فرنسا بدا من تشديد لهجتها معه فوجّهت له الحكومة الفرنسية عن طريق الجنرال غورو يوم 1920/7/14إنذاراً يتضمن خمسة شروط لابد من الامتثال لها وقبولها كمجموعة لا تقبل التجزئة

خلال أربعة أيام تنقضي في منتصف ليلة 1920/7/18.وأن الحكومة الفرنسية بعد هذه المدة تكون مطلقة اليد في العمل. وهذه الشروط هي :

1- وضع سكة حديد رياق حلب تحت تصرف الجيش الفرنسي.

2- قبول الانتداب الفرنسي على سوريا قبولاً غير مشروط.

3- قبول العملة التي فرضتها الإدارة الفرنسية والتي أصدرها البنك السوري الذي أسسته فرنسا وجعله نقداً رسمياً في البلاد، وسحب العملة الفيصلية.

4- معاقبة المجرمين. ويقصد بهم أعداء فرنسا الذين قاموا بمقاومة الاحتلال الفرنسي في سوريا، وملاحقتهم قضائياً.

5- إلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين، وتخفيض عدد الجيش العربي ونزع السلاح من أهالي دمشق ومن الجنود الذين سيسرحون.(صبحي.العمري(1991).ميسلون نهاية عهد.لندن- قبرص:رياض الريّس للكتب و النشر).

تحت الضغط لم يقبل فيصل والوطنيون المحيطون به محتوى الانذار فكان الهجوم الفرنسي وبداية معركة ميسلون (وهي نسبة الى خان ميسلون : محطة استراحة جبلية للمسافرين بين دمشق وبيروت) في الرابع و العشرين من جويلية 1920 والتى انتهت بهزيمة الجيش العربي واستشهاد وزير الدفاع يوسف العظمة في ظرف ساعات معدودات (احسان.هندي(1967) معركة ميسلون.دمشق:وزارة الثقافة والسياحة و الارشاد القومي).وكانت نهاية المعركة ايذانا بنهاية الحكم الفيصلي والدولة الوطنية العربية في سوريا و بداية عهد جديد هو الانتداب الفرنسي.

البيبلوغرافيا:

الكتب:

1- احسان.هندي(1967) معركة ميسلون.دمشق:وزارة الثقافة والسياحة و الارشاد القومي

2- جميل عطية إبراهيم(1991).صلاح عيسى:صك المؤامرة وعد بلفور 1917/11/2،دار الفتى العربي،القاهرة.

3 - الحكيم،يوسف.(1974).الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي و الانتدابي الفرنسي 1915-1946.بيروت:دار صادر.

4- سلام.صادق.(2012).فرنسا ومسلموها ،قرن من السياسة الاسلامية1895-2005 .(ترجمة زهيدة درويش، جبور).الامارات: هيئة ابوظبي للثقافة و التراث

5- سليمان المدني(1999) .هؤلاء حكموا سورية 1918-1970.ط4،دمشق:دار الأنوار.

6- صبحي.العمري(1991).ميسلون نهاية عهد.لندن- قبرص:رياض الريّس للكتب والنشر.

7- عمر، عبدالعزيز عمر.(1980).دراسات في تاريخ العرب الحديث و المعاصر،مصر 1517-1952 /القضية الفلسطينية.بيروت:دار النهضة العربية للطباعة و النشر.

الرسائل:

8 – جهان، بنت إبراهيم شار علي عبد الرحيم.(2011). الاثار السياسية و الحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام 1924–1939 . اطروحة دكتوراه، جامعة ام القرى. المملكة السعودية.

المقالات:

9–محمد حسنين هيكل(1967)،وثائق هامشية، ملحق جريدة الاهرام، العدد 2926.

10– محمد،قجة.(2012).صور من العلاقات المتبادلة بين أوربا وشمال بلاد الشام.مجلة الباحثون الالكترونية ،العدد55

11- Le Pautremat Pascal, La mission du Lieutenant-colonel Brémond au Hedjaz, 1916-1917, Guerres mondiales et conflits contemporains 1/2006 (n° 221).

القواميس و الموسوعات:

12–خيرالدين الزركلي(1997) الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين،ج 2، ط12، بيروت:دار العلم للملايين.

13– عبد الوهاب الكيالي(1986)، الموسوعة السياسية، ج1، ط1بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

التوثيق الالكتروني:

14-www.cairn.info/revue-guerres-mondiales-et-conflits-contemporains-2006-1-page-18.htm.

15- http://pages14-18.mesdiscussions.net/pages1418/forum-pages-histoire/colonel-bremond-sujet_9446_1.htm

16-http://lechoduchampdebataille.blogspot.com/2016/04/mission-militaire-francaise-au-hedjaz.